



الحمد لله رب العالمين. العزيز في سلطانه والقوى في جبروته وعلو شأنه، الواضح في براهينه في آيات قرآنه. سبحانه .. سبحانه، خلق الخلق وقدر الأقدار ومدبرها، تنزّه عن المقييل بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله قوياً شديداً الخالق، لا يداني صنعه صنعُ صانع، ولا يقترب أحد من حضرته إلا بتوقيفه وهدايته، ولا يستطيع ما رد ولا شيطان أن يغوى عبداً من عباده إلا إذا خذلته مشيئته، فهو الهادي لعباده والرحيم بخلقه، والشفوق بأحوال عباده المؤمنين، يتولاهم في الدنيا برعايته، ويشفق عليهم إذا أمرهم بطاعته، ويرحمهم إذا وقعوا في معصيته ومخالفة أمره، بل يدعوهم لذاته فيقول: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } {٥٣ - الزمر}.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسوله، ومصطفاه من خلقه وخليته، جعله الله عزَّ وجلَّ في الدنيا أماناً لأمته، وفي الآخرة شقيقاً لأهل الموقف عن حضرة عزته، وفطر قلبه على الرحمة بالمؤمنين والشفقة على الكافرين، حتى أن ذرة واحدة من رحمته لو وزَّعت على الناس لكفت الخلق أجمعين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والشفيع الأعظم لنا أجمعين يوم لقاء الله، وآله وأصحابه وكل من سار على هدايه، ونحن معهم يا الله. (أما بعد)

فيا أيها الأخوة المؤمنون: رنَّ في سمعنا قبل الصلاة آيات كتاب ربنا عزَّ وجلَّ من سورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وفي الحقيقة أكرمني الله عزَّ وجلَّ وجاءت في صدري خواطر ومعاني كثيرة من عند الله في هذه الآيات، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم، ولكن سأكتفي بآية واحدة منها وجدت فيها الشفاء لنفسى وشفاءً لإخواني وشفاءً للمسلمين أجمعين.

آية واحدة من كتاب الله، يا ليتنا نحفظها ونعيها، فنسعد في الدنيا ويوم لقاء الله. ماذا يقول لنا فيها الله؟ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصْرُورًا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (٧-محمد).

فهو خطاب لكل مؤمن في زمانه وبعد زمانه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فبعضنا فهم الآية على أنها خطاب لمن يجارب الأعداء الطاغين في ميدان القتال، وجعل نفسه منها في راحة - مع أن الخطاب عام لجميع الأنام، للخاص والعام، للحاكم والمحكومين، للجنود والمحاربين، ولجميع المؤمنين على اختلاف أعمالهم وألوانهم وأعمارهم وشئونهم، فكل مسلم في حرب منذ سن البلوغ إلى أن يلقي الله عزَّ وجلَّ.

والبعض فهم الآية أن الله يحتاج إلى من يعاونه لينصره - حاشا لله!! وهل يحتاج بعد قوة جبروته وقوة سلطانه إلى سواه؟! حتى الملائكة محمولة بقوة الله، وتفعل بقوة الله، ولا تتحرك إلا بقدرته الله عزَّ وجلَّ. والملائكة لا تفعل أمراً إلا بمعونة ومدد من الله وتوفيق من الله، فإن الله هو الغني عن سواه، والذي يحتاج إليه كل ما عداه، فهو غني بذاته وبصفاته عن جميع كائناته - من بدء البدء إلى نهاية النهايات - وكل مخلوق وإن علا، وكل قوياً وإن طغى، وكل قادر وإن سيطر وهيمن، لا يسمعون ولا يتحركون إلا بأمر ممن يقول للشئى كن فيكون.

فكل قادر بغير القادر عاجز، وكل قوياً بغير مدد القوي ضعيف، وكل جبار إذا سلب منه الجبار جبروته لا يستطيع أن يقضى على بعوضة. لكن الله القوي المستين

هو الذى يُمدُّ الخلق بقدرته، ويسيرهم بإرادته، ويحكم أحوالهم وأفعالهم وفق مشيئته، لأنه يقول فى قرآنه: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٦٨-القصص).

إذن ما النصر الذى هو نصره الله؟ وعلى أى أمر يثبت أقدامنا جلّ في علاه؟ أمور تحتاج إلى توضيح، فأعطوني آذان قلوبكم لعل الله عزّ وجلّ ينفعنا أجمعين - ولو بكلمة واحدة - من مائدة القرآن الكريم. أما نصر الله الذى يطلبه منا أن نصر شريعته، ونصرها أى نعمل بها فى أنفسنا أولاً، ثم فى أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا ثانياً، ثم فى مجتمعنا ثالثاً. قدر استطاعتي نعمل بأمره، وننتهى عن نواهيه، رغبة فى رضاه وطمعاً فى الثواب الذى بشرنا به الله، يوم لقيه عزّ وجلّ.

هذا نصر الله باختصار شديد، وهل هناك ما يمنعنا من العمل بالشريعة مع أنفسنا وفى أولادنا وفى أهلينا؟ نعم، وهذه هى الحرب - الحرب داخلك، فيك قلبٌ يتلقى عن الله، وجعله الله عزّ وجلّ صالحاً لاستقبال الأنوار القرآنية، وسماع الأحاديث النبوية، ثم يترجمها ويصدرها على هيئة أوامر إلى الجوارح المنفذة فيك. يصدر أمره إلى البصر بأن يقرأ كلام الله، وأن يغضّ عن الحرام إذا سار فى الطريق خوفاً من الله، وأن يتحسس الفقراء والمساكين ليعطيهم فيعطيه ويزيد فى درجته عنده الله. ويصدر أمره إلى اليد، وإلى الفرج، وإلى البطن، وإلى الأذن، وإلى الرجل، وتلك هى الجنود التى تنفذ أوامر الرحمن إذا استجابت إلى القلب، والقلب هو النائب عن السلطان الأعظم فى إدارة هذه المملكة، وجعل الله عزّ وجلّ الامتحان ليتبين عند الله، ليعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين!!

جعل هناك نفساً تحاول أن تمسك بالسلطة فى مملكتك، وتديرها على وفق أهوائها ورغباتها، فإذا تسلطت على الجوارح - والجوارح لا حول لها ولا طول، وليس لها إرادة فاعلة، وإنما هى تنفذ ما تمليه عليها، فاليد لا تمتنع عن طاعتك، إن مددتها إلى

فقير امتدت، وان مددتها الى عصيان امتدت، ولذلك يوم الدين تشهد عليك لأنها فعلت مكرهه، فلو كان فعلها باختيارها لكانت شريكة لك في الحساب وفي العذاب، لكن الله عزَّ وجلَّ أنبأ بأنها ستشهد عليك: { **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } (٢٤-النور). عندما يقع بين الإنسان وبين آخر مشاحنة، الشاهد يكون غير الجاني والجاني عليه، فالجوارح تشهد لأنها ليست مسئولة وأنت المسئول، وتصدر لها الأوامر وهي تنفذ ما تريد لأن الله أمرها بذلك.

فإذا كان يوم الدين كانت غير خاضعة لسلطانك، وكان أمرها من رب العالمين، فإذا أمر الله عزَّ وجلَّ أهل الموقف بالسجود، يأمر المرء الذي كان منها وتاب في صلاته أعضائه بالسجود فلا تستجيب له!! { **وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ** } (٤٢-القلم)، ويكلمهم: { **وَقَالُوا لَجُلُودَهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** } (٢١- فصلت).

الحرب هنا بينك وبين الجوارح، يقولون: أنت الذي أمرت ونحن منفذون، وقد أمرنا الله أن نكون طوع أمرك، والله عزَّ وجلَّ ينصفنا منك الآن، ينصفهم النصف عزَّ وجلَّ. فالجوارح السبعة التي فيك: العين والأذن واللسان، واليدين والرجلين، والفرج والبطن، تنفذ أمرك، طلبت منها اتباع الشرع فتسارع إلى أمرك، طلبت منها العصيان تفعل ذلك لأنها منفذة لك ولأوامرك في مملكتك، والسلطان سلطانك، فإذا كانت القيادة في هذه المملكة الربانية التي يقول فيها الإمام عليٌّ رضي الله عنه: (أتزعم أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر، دواؤك فيك وما تبصر، ودواؤك منك ولا تشعر!!).

أنت مملكة عظيمة مملوءة بالعجائب والغرائب، لو نظرت فيها - بعين اكتحلت بنور الله، ولو نظرت فيها بقلب امتلاً بنور كتاب الله، ولو نظرت فيها بفكرٍ تشرب

بالعلوم النافعة من رسول الله - ستري فيك العجب العجاب، من صنع الكريم الوهاب عز وجل. ألا تدري أنك الذى حسدتك الملائكة على مكاتك وخلافتك لحضرة الله؟! وقالوا لله عز وجل في صورة أبيك آدم عليه السلام: { **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** } (٣٠- البقرة). ألا تدري أن الله جعل الكون كله - عاليه ودانيه، سماواته وأرضه، وإنما كنت أنت طوعاً لأمرك؟! { **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** } (١٣- الحاثية)، كلها مسخره بأمر الله.

فأنت في حرب!! طرفاها في داخلك القلب والشيطان، القلب قائد جنود الرحمن في مملكتك، والنفس قائدة جنود الشيطان والعصيان في مملكتك. فالنفس تريد السيطرة واهيمنة عليك، والقلب يريدك عبداً من عباد الرحمن { **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** } (٦٣- الفرقان)، وتبيت لربك ساجداً وقائماً، وراكعاً ومسبحاً، وتالياً وذاكراً، وتعمل الخيرات وتنتهى عن المنكرات. فإذا قمت بذلك نصرك النصير: { **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** } (٧- محمد).

ينصركم على النفس فلا تؤثر فيك، ولا تخدعك بحُبِّها وبجِيلها وبدهاتها، ولا يستطيع الشيطان الذى سوف يوسوس لها أن يقترب منك، فإن الرجل الذى حارب النفس وأعاناه الله عليها، قال فى شأنه سيد الأولين والآخريين صلى الله عليه وسلم: (عَمْرٌ رَجُلٌ يَفْرُ الشَّيْطَانَ مِنْهُ، مَا سَلَكَ عُمُرٌ طَرِيقاً إِلَّا وَسَلَكَ الشَّيْطَانَ طَرِيقاً آخراً). يترك له الطريق كله بما فيه خوفاً منه، فمما يخاف الشيطان؟! من القلب المملوء بنور الإيمان، فإن نور الإيمان يخرج صواعق محرقة تصعق الشيطان، فإذا اقترب من قلب عامر بالإيمان خرج منه صاروخ من نور الرحمن يصعقه فى الحال. والشيطان حريص على نفسه فلا يقترب من قلب عامر بالإيمان، والأمر كما قال شيخنا الشعراوى رحمة الله تعالى عليه قال: (هل تسرق الشياطين؟ والسارقون لا يسرقون إلا

من بيت عامر، أما البيت الفارغ الذى ليس فيه شئ - والبيت الفارغ هو بيت الكافر والجاحد والمشرك، عشش الشيطان فيه، وباض وأفرخ وانتهى منه - وجمع شياطينه على المؤمنين لأن قلوبهم عامرة بنور الله، وبكلمة التوحيد الذى حفظها لنا الله.

فإن الله **جَلَّ في علاه** - من رحمته بالمؤمنين - جعل تسلط الشيطان على الصدر، والصدر تصدر إليه الأوامر من القلب، لكن قرار القلب .. ومكمن القلب .. وداخل القلب المعمور بالإيمان، لا يستطيع أن يقترب منه، يقول ربُّ العزّة: { **مَنْ شَرَّ الوَسْوَاسِ الخَنَاسِ. الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** } (٤، ٥-الناس). لو قال: (يوسوس في قلوب الناس) ما نجا منّا أحد. لكن القلب عامر بنور الإيمان، فحفظه الرحمن عزَّ وجلَّ. حتى المؤمن الذى ابتعد عن حضرة الله زماناً قلَّ أو كثر، يقول فيه الإمام أبو الحسن الشاذلى **رضى الله عنه**: (لو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصى لمأ ما بين السموات والأرض، فما بالكم بنور المؤمن المطيع؟!) { **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** } (٢٠١-الأعراف).

فقلبك ملأه الله بنور الإيمان، ولم يجعل للشيطان عليه سلطان، لكن مهمة النفس والشيطان بعد صدور الأمر من القلب إلى دائرة الصدر، ليتوجه إلى الجوارح والأعضاء فينوى الإنسان الخير، لكن دورهم - بعد أن نوى الخير وتجهز له واستعد له - مازالوا به حتى يقعدوه عن فعله، ويمنعونه عن تنفيذه.

هذه هي مهمة النفس والشيطان، تحاول أن تشغل المرء عمَّا يحبُّه الله من زخارف الدنيا ومطامعها، وملذاتها والعلو فيها بغير الحق، حتى تشغل المرء عن الله، فإذا لم تستطيع النفس أن تتغلب على المرء واستقام على طاعة الله، تحاول أن تقتل وقته وتجعله يقضيه في غفلة أو في لهو أو في بعد عن الله، فإن الذى بينك وبين الله هو نفسك، ووقتك وحياتك وعمرك لا يقاس بالسنين، ولا بالشهور ولا بالأيام - إنما يقاس عندنا على حسب دورة الشمس والقمر والأفلاك - أما عمرك عند الله كيف

يقاس؟ إن قوماً عاشوا دنياهم حياة طويلة، تسألم ملائكة الله يوم القيامة: { قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ } (١١٢)، (١١٣ - المؤمنون). أن حياتنا في الدنيا كانت لحظات قليلة: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ } (٥٥- الروم)، حياتنا في الدنيا كلها ساعة واحدة.

عمرك يقاس بالأنفاس التي تتردد في صدرك، نفس يخرج وقد لا يعود، ونفس يدخل ولا يخرج، إلى أن تلقى الله. وقد أحصى العلماء العاملون أن للمرء أربعاً وعشرين ألف نفساً يتنفسها في الليل والنهار، وكل نفس محاسب عليه يوم لقاء الله، فيما أنفقتة - في خير أو في شر، أو في هوى أو في عريان، أو في غرور أو في هلاك، أو في فساد أو في أعمال صالحة؟ وهذا الذي يتحسر من أجله العباد، ويقولون يوم التناد: { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ } (٥٦- الزمر).

حتى من يدخل الجنة سيندم لأنه لم يستزد، ذهب الإمام كمال الدين الأحمي رضى الله عنه - ناشر المذهب الحنفى فى مصر - لزيارة الشيخ/ عبد الرحيم القنائى فى قبره - وكان من شفافيته يرى من يزوره ويتحدث معه، ولا حرج على فضل الله، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نلقى عليهم السلام، والسلام سنة الرد فريضة - وبعد أن انتهى من حديثه معه قال: أوصنى، فقال: أنا كما ترى فى روضات عالين، ولكنى أقول: { يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ } (١١٠- الزمر)، فلا تغفل عن ذكر الله طرفة عين أو أقل.

قال صلى الله عليه وسلم: (المؤمن بين خمس شدائد: عدو يحاربه، وشيطان يوسوس له، ونفس تخذله، ودنيا تضره، وصديق يحسده).

وقال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا المحارم تكن أعبد الناس).

أو كما قال، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، واعطنا الخير وادفع عنا الشر، ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا، يا رب العالمين. (أما بعد)

فيا أيها الإخوة المؤمنون: سأمحونى إن كنت قد أطلت عليكم، وسنوفى الموضوع بعد الصلاة، وندعو الله عزَّ وجلَّ أن يفقهنا فى ديننا، وأن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرنا الباطل زاهقا وهالكا ويرزقنا اجتنابه.

اللهم حسن لنا فعل الخيرات، والمداومة على الطاعات، واحفظنا من المعاصى والمخالفات.

اللهم ارزقنا وبنينا وبناتنا وزوجاتنا التوفيق لما تحب وترضى، واجعل حياتنا فى طاعتك.

اللهم اجعل حسناتنا حسنات من أحببت، وعاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

اللهم وفق قادة بلادنا وولاة أمور المسلمين أجمعين لما تحب وترضى. اللهم وفقهم للعمل بشريعتك، وخذ بناصيتهم إلى منهج حبيبك ومصطفاك، وأبعد عنهم حواشى السوء، يا ارحم الراحمين.

اللهم انصر عبادك المسلمين المستضعفين فى كل مكان، وأذلَّ الشرك واليهود، واجعل المسلمين فى كل مكان ينعمون بحلاوة الطاعة يا قيوم يا رحمن.

عباد الله: اتقوا الله، { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٩٠- النحل).

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.
